المحاضرة رقم-٢-

البدائل النظرية

٢-التفاعلية الرمزية

١-المفاهيم الأساسية للتفاعلية الرمزية ومنطلقاتها

تنطلق التفاعلية الرمزية من مبدأ أساسي هو أن الحياة الاجتماعية التي نعيشها ما هي إلا حصيلة التفاعلات تكون ناجمة عن الرموز التي كونها الأفراد نحو الآخرين بعد تفاعلهم حيث نجد أثناء عملية التفاعل بين شخصين أو أكثر يشكل كل فرد صورة ذهنية تكون بشكل رمز عن الفرد أو الجماعة التي يتفاعل معها، وهذا الرمز قد يكون إيجابية أو سلبية اعتمادا على الصورة الذهنية التي كونها الأفراد نحو بعضهم البعض. ومن هذا المنطلق تبدأ التفاعلية الرمزية مستوى تحليلها من مستوى الميكروسوسولوجي (الوحدات الصغرى) منطلقة لفهم الماكروسوسولوجي (الوحدات الكبرى)، أي تبدأ بتحليل تفاعل الأفراد لفهم النسق الاجتماعي، إلا أنها تركز على التفاعل الرمزي المتشكل من المعاني واللغة والصورة الذهنية، ومنه نجد التفاعلية الرمزية تحاول الربط بين الحياة الداخلية للفرد (العق والذات) وبين طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه وما يحتويه من رموز حضارية ولغوية

٢-تأسيس وظهور النظرية التفاعلية الرمزية:

تعد نظرية التفاعلية الرمزية إحدى منظورات السوسويولوجية الأساسية المعاصرة فيرجع ظهورها إلى ظهور النزاعات الاجتماعية السلوكية أو ما يعني بالنزاعات الاجتماعية النفسية.

وظهرت التفاعلية الرمزية في بداية الثلاثينات من القرن العشرين على يد "جورج هربرت ميد" خاصة بعد تأليفه ونشره لكتاب العقل والذات والمجتمع الذي يحمل أهم الأفكار والمبادئ التي جاء بها[١].

---

[١] الحسن إحسان محمد: النظريات الاجتماعية المتقدمة (دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة)، دار وائل للنشر، ط٢، ٢٠٠٢، ص ٨٠

وهي تعتبر واحدة من المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية في تحليل الأنساق الاجتماعية فهي تبدأ بمستوى تحليل الوحدات الصغرى، فهي تدرس الأفراد في المجتمع ومفهومهم عن المواقف والمعاني والأدوار وأنماط التفاعل وغير ذلك من الوحدات الصغرى[٢] منطلقة منهم لفهم النسق الاجتماعي فأفعال الفرد تصبح ثابتة لتشكيل بنية من الأدوار من حيث توقعات البشر معظمهم اتجاه بعض من حيث المعاني والرموز، وهنا يصبح التركيز إما على بنية الأدوار والأنساق الاجتماعية أو على سلوك الفرد والفعل الاجتماعي وعليه تسعى التفاعلية الرمزية كنظرية سوسيولوجية لدراسة دور الفرد وسلوكه في المجتمع داخل الجماعة التي ينتمي إليها مع الاهتمام بمكون عملية التفاعل والتبادل الذي يحدث بين الفرد وذاته أو بيئته أو بين الجماعة والمجتمع الذي يعيش فيه[٣].

إذن فالتفاعلية الرمزية تركز على الفرد وتسعى إلى تحليل نسق الرموز والمعاني التي تترجم في السلوك الفردي والدور الوظيفي والسيكولوجي الذي يقوم على الفرد في المجتمع كما تحرص على دراسة مركب العلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع، وكيفية تنظيمها بأسلوب عقلاني يعكس العناصر الذاتية للفرد واستجاباته للمواقف والعمليات الاجتماعية.

وعليه تعنى هذه النظرية بالقضايا المتصلة باللغة والمعنى ويزعم "ميد" أن اللغة تتيح لنا الفرصة لنصل إلى مرحلة الوعي الذاتي وندرك ذاتنا ونحس بفرديتنا، كما أنها تمكننا من أن نرى أنفسنا من الخارج مثلما يرانا الآخرون والعنصر الرئيسي في هذه العملية هو الرمز، أي الإشارة التي تمثل معنى أو شيء آخر، والكلمات التي نستعملها للإشارة إلى أمور محددة هي في واقع رموز تمثل المعاني التي نقصدها وبالتالي يرى "ميد" أن البشر يعتمدون على رموز وتفاهمات ومواصفات مشتركة في تفاعلهم باعتبارهم يعيشون في عالم زاخر بالرموز فجميع عمليات التفاعل بين الأفراد تشتمل على تبادل الرموز.

٣-وحدات تحليل التفاعلية الرمزية

---

[٢] محمد علي محمد: تاريخ الفكر الاجتماعي (الرواد والاتجاهات المعاصرة)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص ٨٢

[٣] عبد الله محمد الرحمن: النظرية في علم الاجتماع (النظرية السوسيولوجية المعاصرة)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١، ص ١٧٢

٣-١-التفاعل: هو سلسلة متبادلة ومستمرة من الاتصالات بين فرد وفرد أو فرد مع جماعة أو جماعة مع جماعة.

٣-٢-المرونة: ويقصد بها استطاعة الإنسان أن يتصرف في مجموعة ظروف بطريقة واحدة في وقت واحد وبطريقة مختلفة في وقت آخر وبطريقة متباينة في فرصة ثالثة.

٣-٣-الرموز: وهي مجموعة من الإشارات المصطنعة يستخدمها الناس فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل وهي سمة خاصة في الأسنان، وتشتمل عند "جورج ميد" اللغو وعند "بلومر" المعاني وعند "جوفمان" الانطباعات والصور الذهنية.

٣-٤-الوعي الذاتي: وهو مقدرة الإنسان على تمثل الدور فالتوقعات التي تكون لدى الآخرين عن سلوكنا في ظروف معينة، هي بمثابة نصوص يجب أن نعيها حتى تمثلها على حد تعبير "جوفمان"

٣-٥-الذات: وهي ما يتعلق عادة بتصور الفرد عن نفسه الناتج عن خبراته في التفاعل مع الأفراد الآخرين كما يمكن تعريف الذات نفسيا بأنها تكوين معرفي منظم وموحد ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتعميمات الخاصة بالذات يبلوره الفرد ويعتبره تعريفا نفسيا لذاته.

٣-٥-الذات الفاعلة أو الفاعل الاجتماعي: هي أقرب إلى مفهوم الذات البشرية التي هي حصيلة تفاعل عوامل داخلية وراثية خارجية مجتمعية.

٣-٦-التنشئة الاجتماعية: والتي تشير إلى عملية تشكيل نفسي الإنسان تشكيلا اجتماعيا بشكل يجعله قادرا على الحياة في مجتمعه ويتمثل طبيعيا مع السلوك المقبول اجتماعيا.

٣-٧-التحليل الاجتماعي: يعني عدم خضوع الافراد في تفاعلهم الاجتماعي إلى ضوابط ومعايير اجتماعية الخاصة بالمجتمع كالقيم والأعراف.

٣-٨-التنظيم الاجتماعي: أي خضوع تفاعلات الأفراد إلى ضوابط ومعايير المجتمع الخاصة به كالقيم والعرف والتنشئة الاجتماعية.[٤]

٤-المبادئ الأساسية لنظرية التفاعلية الرمزية

وضع "هيربرت ميد" مؤسس النظرية من المبادئ الأساسية والتي يمكن إدراجها في النقاط الآتية

١- يحدث التفاعل الاجتماعي بين الأفراد الشاغلين لأدوار اجتماعية، ويطلب هذا زمنا يتراوح بين أسبوع إلى سنة.
٢- بعد تفاعل الأفراد يكونون صورا رمزية ذهنية عن الأشخاص الذين تم التفاعل معهم في صورة تعكس الحالة الانطباعية التي كونها الفرد اتجاه الفرد الآخر الذي تفاعل معه
٣- تلتصق الصورة الانطباعية التي كونها الفرد عن الشخص بمجرد مشاهدته أو السماع عنه، لأن الفرد اعتبر الفرد الآخر رمزا مع أن الصورة الرمزية التي يكونها الفرد عن الفرد الآخر قد تكون إيجابية أو سلبية تعتمد على الصورة الذهنية التي كونها عنه.
٤- عندما تتكون الصورة الرمزية عن شخص معين، فإن هذه الصورة تنشر بين الآخرين فيكونون صورا إيجابية أو رمزية اعتمادا على نوع الانطباع وليس عن حقيقة ذلك الشخص ودوافعه.
٥- إن الصورة الذهنية الانطباعية التي تتكون لدى الفرد عن شخص آخر من الصعب تغييرها أو إدخال صورة ذهنية مخالفة للصورة التي تكونت عنه، وبذلك يقيم الفرد ذاته بموجب الصورة الرمزية التي تكونت عنه أو الصورة التي كونها الآخرون اتجاهه.
٦- تفاعل الشخص مع الآخرين أو انقطاع التفاعل يعتمد على الصورة الرمزية التي كونها الأفراد اتجاهه فإذا كانت إيجابية فإن التفاعل يستمر وإن كانت عكس ذلك ستنقطع وتتوقف[٥].

٥-القضايا الأساسية للتفاعلية الرمزية: وتتمثل فيما يلي:

---

[٤] حكمت العرابي: النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، ط١، مطابع المرزوقة التجارية، الرياض، ١٩٩١، ص ٣٥

[٥] حجازي محمد فؤاد: النظريات الاجتماعية، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٩٥

- تسلك الكائنات إزاء الأشياء في ضوء ما تنطوي عليها هذه الأشياء من معاني ظاهرة لهم.
- هذه المعاني نتائج التفاعل في المجتمع الإنساني
- تتعدل وتتشكل من خلال عملية التأويل عبر الرموز[٦] أي الحقيقة للواقع لا تتوافر بمعزل عن تفاعل الناس وتأويلهم لما هو موجود ويتذكر الناس ويشكلون معرفتهم بالعالم بناء على ما يرونه نافعا ومفيدا ويعرفون الموضوعات الاجتماعية والطبيعية وفق ما يتصورون فيها من منافع ويرتبط فهمنا للتفاعل على بناء ما تقوم به فعلا.

٦-الاسهامات الفكرية لرواد نظرية التفاعلية الرمزية

٦-١-هربرت بلومر: وهو مطور أفكار "هربرت ميد" وهو من رواد التفاعلية الرمزية بعده ومن أهم إضافاته ما يلي:

- الناس أفراد وجماعات مجهزون للفعل على أساس معاني الأشياء التي يتضمنها عالمهم ومن ثم يقوم السلوك على أساس المعاني الاجتماعية وهي ثلاثة أنماط
  أ. طبيعي (الأشجار والأنهار)
  ب. اجتماعي (زملاء العمل)
  ت. تجريدي (مبادئ الأخلاق)
- المجتمع عملية رمزية تفاعلية تفسيرية داخل الأفراد
- رفض الأفكار التي يستند إليها التصور الوظيفي للمجتمع لأنها تتناول المجتمع أو الجماعات كأنساق اجتماعية.

٦-٢-جوفمان أرفينج: وهو تلميذ "هربرت بلومر" وأحد أقطاب التفاعلية الرمزية إذ يرى مماثلة الحياة الاجتماعية بالحياة المسرحية نظرية التمثيل المسرحي فمثلا يعمل الفريق المسرحي على التعاون لتحقيق إقناع الجمهور الذي يشاهد العرض المسرحي الذي يقدمه الفريق ففي كل مواقف الحياة الاجتماعية ومنظماتها، نستطيع أن ننظر إلى الأعضاء المشاركين في هذه المواقف بأنهم يشبهون الفريق، ويهدفون إلى تحقيق أهداف مماثلة لأهدافه، مثلا فريق الأطباء والممرضين في المشفى ومحاولتهم إقناع المريض بقدرتهم على خدمته طبيا.

---

[٦] أنتوني جيبنز: مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١١٠

وعليه تتجسد المعطيات الجديدة لتفاعلية الرمزية من خلال جوفمان ب:[٧]

- المسرح وهو نموذج لفهم الحياة الاجتماعية
- التنشئة الاجتماعية هي العملية التي تساهم في تكوين الوعي بالأدوار التي تقوم على مسرح الحياة الاجتماعية وهي لا ترتبط بالمراحل المبكرة فقط وإنما عملية مستمرة عبر مراحل دورة الحياة المختلفة

٧-تقييم النظرية:

انطوت التفاعلية الرمزية على جملة من الإيجابيات والسلبيات فمن

إيجابياتها:

١- تأكيدها على التفاعل الرمزي واهتمامها بدراسة الوحدات الصغرى التي لم يؤكد عليها أصحاب النظريات الكبرى من بنائية أو صراعية
٢- أن مفهومات نظرية التفاعلية الرمزية أكثر شمولا من الأنماط المحددة للتفاعل والتي تهتم لها المنظورات الأخرى وأنه من الممكن إدراج المفهومات مثل التبادل والاتصال والاعلام ضمن مفهومات التفاعل الرمزي.
٣- تستخدم مفهومات التفاعل الرمزي لتشكل مدى واسع من العلاقات الإنسانية مثل الصراع، التعاون، الخضوع، ومن حيث المبدأ على الأقل فإن التفاعلية الرمزية تجعل صياغة نظريات متباينة تدرس كل نمط من العلاقات الإنسانية أمرا لا ضرورة منه.

أما عن أهم السلبيات فمنها:

١- أكدت التفاعلية الرمزية على أن المجتمع تفاعل رمزي دون أن تشير إلى أنماط الظروف مهما كان نوع التفاعل الذي يؤدي إلى ظهور أي نمط من أنماط بناء اجتماعي واستمراره وتغييره في سياق أي ظرف من الظروف.
٢- الغموض الذي اتسمت به طروحات التفاعلية الرمزية وكيفية تشكيل تنظيم اجتماعي وتغييره فهناك غموض بين عملية التفاعل ونتائجها

[٧] فليب جونز: النظرية الاجتماعية والممارسات البحثية، ترجمة محمد ياسر الخواجة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠١٠، ص ١٢٧

٣- عدم صياغة براهين وحجج كافية وذلك حول كيف وإلى أين وما عمليات التفاعل التي تعمل على تكوين واستمرار وتغيير أنماط التنظيم الاجتماعي المتنوعة والمتباينة